القسم الثانى

المؤيـــدات الربانيـــة

ويقسم إلى قسمين :

(أ) المؤيدات الربانية فى الدنيا .

(ب) المؤيد الربانى الثانى : الآخرة

obeikandl.com

(أ) المؤيدات الربانية فى الدنيا

ما ذكرناه فى المؤيد السابق من عقوبات الفطرة هو من نوع النتائج المترتبة على مقدماتها، أو من نوع تحقيق القضية إذا وجدت أسبابها. أما المقصود بهذا المؤيد هنا فهو العقوبة المترتبة على الذنب بفعل الله قهراً للمذنب والكل فى الحقيقة فعل الله، ولكن ذلك عقوبة تظهر نتائجها بشكل واضح دون أن يراعى للقهر الالهى تدخل ظاهر فيها. وهذا يرى فيه بشكل ظاهر تدخل القهر الالهى.

وحتى يتضح هذا المقام نضرب مثالاً:

إن من عقوبات الفطرة على اللواط هى اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء مما يؤدى إلى الإخلال بعملية التوالد لبقاء النوع.

فأمة كأمة لوط مثلاً عندما أصيبت بهذا الداء واستشرى بها فإنه يعرضها إلى الفناء عملياً إذا مشت بهذا الانحراف إلى منتهاه فهذه عقوبة فطرية على جريمة بعينها ولكن زيادة على ما يترتب على هذه العقوبات الفطرية فإن الله عذب هذه الأمة عذاباً آخر استأصلها به إذ جعل عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجيل منضود.

فالذى نعنيه فى هذا الباب هو هذا النوع من العقوبات الآلهية التى يعاقب بها المنحرفون عن أمره والمجرمون.

وقد قص الله علينا فى القرآن أنواعاً من هذه العقوبات عاقب بها أقواماً أو رجالاً لارتكابهم جرائم الإنحراف عن أمره وأمر رسله عليهم الصلاة والسلام ننقلها أولاً ليتضح لنا الأمر ثم نعقب على ذلك ببعض التعليقات وعلى هذا فبحثنا هذا سينقسم إلى قسمين أولاً: نماذج من العقوبات، ثانياً: تعليقات.

أولاً: نماذج من العقوبات

(أ) قارون:

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن

ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص: ٧٦ – ٨٢].

(ب) أصحاب الجنة:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ١٧ – ٣٣].

(جـ) صاحب جنتين:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا

زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ [الكهف : ٣٢ – ٤٣].

(د) المعتدون من اليهود على حرمة يوم السبت :

﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦٣ – ١٦٦].

(هـ) قوم نوح :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ٩ – ١٦].

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٦، ٧٧].

(و) عاد :

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ١٨ – ٢١].

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦ – ٨].

(ز) ثمود:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ * إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٢٣ - ٣١].

(ح) قوم لوط:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ * وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٦١ - ٧٧].

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨٤].

(ط) قوم شعيب:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم

بَيِّنَةٌ مِن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ * وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥ - ٩٣].

(ى) فرعون وقومه:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣ - ١٣٦].

(ك) بنو إسرائيل:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ

وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ [الاسراء: ٤ – ٨].

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠ – ٢٦].

(ل) أصحاب النبى ﷺ:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٥ – ٢٧].

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ثانياً: تعليقات:

(أ) يلاحظ من الأمثلة القرآنية السابقة أن عقوبة القهر الألهى فى الدنيا تأتى بأشكال متعددة فقد تكون غرقاً، وقد تكون صاعقة، وقد تكون مرضاً، وقد تكون

زلزالا، وقد تكون... وفى الحقيقة ما من مصيبة يصاب بها الإنسان إلا وهى أثر من آثار هذا القهر، وقد ذكرت هذا المعنى الآية ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ [الشورى: ٣٠]. وإن لم تكن المصيبة عقوبة فهى تربية أو امتحان أو ترقية لمقام ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

(ب) أن عقوبة القهر الالهى العام لا تظهر إلا إذا سبقها رخاء، لذلك كان من سنة الله أن يمد للظالمين والكافرين، فترى الظالمين والكافرين مهما ذكروا لا يتذكرون، وعندئذ تنزل بهم عقوبة القهر الالهى فإذا هم زاهقون وقد ذكرت هذا المعنى الآيات:

﴿ **ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون * فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾ [الأنعام: ٤٢ – ٤٥].

(جـ) يلاحظ أن الكافرين والغافلين لرؤيتهم اضطراد نزول البلاء والرخاء عليهم وعلى الناس غيرهم لا يظنون أن لله دخلاً فيما يحدث من ذلك بل يتصورون أن ذلك محض عادة طبيعية ومصادفة غير مقصودة فإذا وقع زلزال لا يربطون بين الزلزال وعقوبة الله وإذا حدث خسف لا يربطون بينه وبين عقوبة القهر الإلهى وإذا حدث غرق أو عواصف أو صواعق فهذا كله لا علاقة لعقوبة القهر فيه مادام نازلا بغيرهم ولم يستأصلوا بعد وقد ذكر القرآن هذا المعنى بقوله:

﴿ **وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون** ﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥].

﴿ **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال** ﴾ [الرعد: ١٣].

(د) وعلى عكس الكافر والغافل يكون المسلم، فما من مصيبة تنزل به مهما كان شأنها صغيرة أو كبيرة، عامة أو خاصة، إلا وتجعله بحس أنه فعل شيئًا استحقها به فيرجع إلى الله ويتوب.

﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وينتج عن هذا أن المسلم يأخذ درساً من المصيبة فترجعه إلى الله، ويفكر ماذا فعل حتى استحقها، فيحاسب نفسه ويطهرها. وينتج عن ذلك كذلك أن يرضى بالمصيبة لما أنها عقوبة عاجلة على ذنب فى الدنيا تكفره عنه فيصبر ويحتسب ولا يتضجر، وفى الحديث:

(ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها) متفق عليه.

(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولاهم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه) متفق عليه.

(ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

عن مصعب بن سعد عن أبيه رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله.. أى الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان شديداً فى دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وليس عليه خطيئة) أخرجه الترمذى.

وعن جابر رضى الله عنه: دخل رسول الله ﷺ على أم السائب رضى الله عنها فقال ﷺ: (مالك تزفزفين)؟

فقالت: الحمى.. لا بارك الله فيها. فقال: (لا تسبى الحمى فإنها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد).

(هـ) إن عقوبة القهر الالهى فى الدنيا ليس شرطاً ان تنزل بكل كافر أو منافق، قد تنزل وقد يمد الله لأمثال هؤلاء ليعذبهم فى الآخرة، ولعذاب الآخرة أشد:

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ١١ – ١٥].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ

أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً* فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٢].

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً* سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾ [المدثر: ١١- ١٧].

(و) وقد تكون عقوبة القهر الالهى متمثلة بتسليط أمة على أمة، أو الناس على الناس. قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

ولعل الصورة المخيفة للواقع القريب ترينا مظاهر هذا.

لقد خلق الله هذا الكون ليستخدمه الإنسان لصالحه، وإذا بالإنسان يستخدمه لتدمير كل شيء. ولعل ما حدث فى الحرب العالمية الأولى والثانية مثالان على هذا النوع من القهر.

وقد يسلط الله على المسلمين بذنوبهم غير المسلمين، وتروج بين الناس حكمة تمثل هذه السنة لله تقول: (إذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى) وفى الآثار ما يؤيد هذه الحكمة، وفى الواقع ما يدل عليها.

(ز) مما تقدم تعلم أن عقوبة القهر الالهى تظهر بمظاهر متعددة وكلها مستورة بعالم الأسباب.

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤].

ونعيد هنا الفكرة التى ذكرناها أكثر من مرة:

أن الكافر لا يرى إلا السبب المادى القريب.

أما المؤمن فيرى أن كثيرا من الأسباب المادية ترافقها أسباب غيبية. يعرفها بواسطة الرسول الصادق، كالموت له سبب حسى كالسكتة القلبية، وسبب غيبى هو نزع الروح من الجسد بواسطة الملك.

ثم المؤمن بعد ذلك يرى أن السبب الحسى والسبب الغيبى حال وجوده يكونان

بقدرة الله دائماً وأبداً. ومن ثم تكون عند المؤمن ملكة الاعتبار، وتموت هذه الملكة عند الكافر. إن المؤمن يرى الله وراء كل شيء، وراء النعمة والنقمة، والنصر والخذلان، والضر والنفع، والبأساء والضراء ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**﴾ [الأنبياء: ٣٥]. والكافر أعمى البصر والبصيرة، لا يرى إلا ظواهر الأشياء ولا يعرف حقائقها:

﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا**﴾ [الروم: ٧].

وهو دائما يعذب ويشقى جسدياً أو نفسياً، وهو لا يحس بأن ذلك بسبب بعده عن طريق الله ودينه وشريعته، أى الإسلام.

* * *

obeikandl.com

(ب) المؤيدات الربانية فى الآخرة

الكلام عن الآخرة يأتى فى الدرجة الثانية بعد الكلام عن الله جل جلاله، ولكنا بدأنا دراساتنا فى الأصول الثلاثة بالكلام عن الله وختمناه بالحديث عن الآخرة.. على اعتبار أن الآخرة هى النهاية، والإسلام هو الطريق إليها، فهى خاتمة المطاف.

وقد حرصنا أثناء الكلام عن الآخرة أن نعرض للموضوع بأساليب متعددة، وأن ننقل فيه لأعاظم من كتبوا عنه ليتأكد مضمونه فى القلب تأكيداً تاماً. فبدأنا الحديث عنه بنقول للشيخ سعيد النورسى. وختمنا الحديث عنه بكلام للمودودى فيه. وتصرفنا فى كلامهما نوع تصرف لا يخل بالمعنى لينسجم مع طبيعة هذا الكتاب. وإذا كثر النقل فى هذا الفصل، فلأنا نود تقليب الحديث حتى لا يبقى لكافر حجة، ولم نرد فى الكتاب كله إلا تربية الإيمان، فما أعاننا على ذلك أخذناه دون نظر إلى ما يمكن أن ينتقدنا فيه الناقدون.

ولنبدأ الآن الحديث عن اليوم الآخر:

(١)

يقول الشيخ سعيد النورسى:

(انظر إلى قوة حقانية الحشر والآخرة، فلا يمكن أن يكون سلطان بلا مكافأة للمطيعين ومجازاة للعاصين.

لاسيما: إذا كان له كرم عظيم يقتضى الإحسان، وعزة عظيمة تقتضى الغيرة، وهذه الدار لا تفى بعشر معشار ذلك الكرم وتلك العزة.

لاسيما: إذا كانت له رحمة واسعة تقتضى فضلاً يليق بسعة رحمته، وله جلال يقتضى تربية من يستخف به ولا يوقره.

لاسيما: إذا كانت له حكمة عالية تقتضى حماية شأن سلطنته، برحمة الملتجئين إلى جناحه، وتقتضى المحافظة على حشمة مالكيته بمحافظة حقوق رعيته.

لاسيما: إذا كانت له خزائن مشحونة، وكرم مطلق، وهذا يقتضى دار ضيافة دائمة ووجود ضيفان على الدوام.

وكيف وله كمالات تقتضى التشهير بالمجرمين.

وكيف وله جمال بلا مثل، ولطائف حسن بلا نظير، وهذا يقتضى إشهاداً ومشاهدين، ومشتاقين متحيرين، إذ الجمال الدائم لا يرضى بالمشتاق الزائل.

لا سيما: ومشاهد آثار سلطانه تدل على أنه فى نهاية العظمة.

انظر إلى رعيته فكأنما اجتمعوا فى منزل سفر، يملأ ويفرغ كل يوم، وكأنما حضروا فى ميدان امتحان يتبدل كل وقت، وها هم توقفوا ليشهدوا غرائب صنعة الملك، فهذا كله يقتضى بالضرورة أن يوجد خلف هذا المنزل والميدان والمشهد دارا دائمة، مليئة مشحونة بأجود مما رأوا خلال السفر.

لاسيما: إذا كان الملك فى نهاية الدقة فى صفة الحاكمية، فهو يكتب ويستكتب أدنى حاجة وأهون عمل وأقل خدمة، ويأمر بأخذ صورة كل ما يجرى فى ملكه، ويستحفظ كل فعل وعمل، فهذا الحفظ يقتضى المحاسبة، وخاصة فى أعظم الأعمال من رعيته.

لاسيما: إذا كان الملك قد وعد وأوعد مكرراً بما إيجاده عليه هين يسير، ووجوده للرعية فى نهاية الأهمية، فخلف الوعد غاية فى البعد عن العزة والاقتدار.

لاسيما: إذا أخبر كل رسول للملك أنه أعد للمطيعين والعاصين دار مكافأة وجزاء، وأنه يعد وعداً قوياً، ويوعد وعيداً شديداً، وهو أجل وأعز منه أن يذل ويتنزل بخلف الوعد، والمخبرون متواترون وهذه السلطنة العظيمة لا تقوم على هذه الأمور الزائلة الواهية المتبدلة السيالة فقط.

لاسيما: إذا أظهر الملك فى المنازل الزائلة، والميادين الهائلة آثار حكمة باهرة، وعناية ظاهرة، وعدالة عالية، بحيث يعرف باليقين من له بصيرة أنه لا يمكن أن يوجد أكمل من حكمته وعنايته ورحمته وعدالته، فلو لم يكن فى دائرة مملكته أماكن دائمة خالدة للزم إنكار هذه الحكمة المشهودة، وإنكار هذه الرحمة الظاهرة، وإنكار هذه العدالة المنظورة.

لاسيما: والكرم بلا نهاية يقتضى الامتنان والتنعيم بلا نهاية، وهما يقتضيان قبول المنة والتنعيم بلا نهاية، وهما يقتضيان دوام وجود الشخص المكرم ليقابل دوام التنعم بشكر المنة الدائمة وإلا لصار المنعم عليه يتنغص ليتذكر الزوال الأبدى.

* * *

إن الحقائق المستقرة الثابتة أن صاحب الجمال يجب أن يشاهد جماله وينظر إلى محاسنه، فالحسن والجمال يقتضيان الشهود والإشهاد.

إن هذا العالم كما يستلزم صانعه بالقطع واليقين، فصانعه يستلزم الآخرة بلا شك ولا ريب.

* * *

لا سيما: وأن مالك هذا العالم يجيب المنهوف المستغيث، والداعى المستجير،

وأنه يسمع أخفى نداء من أخفى خلق. فهذا يقتضى أن تسعف أعظم حاجة من أعظم عباده وأحب خلقه إليه.

خاصة إذا أمن على دعاء ذلك الحبيب جميع الخلق بألسنة الأقوال والأحوال.

وأى حاجة أعظم من الخلود.

خاصة إذا كانت تلك الحاجة كلمح البصر، سهلة يسيرة على الملك الكريم.

خاصة إذا تضرع ذلك الحبيب أنواع التضرعات الحزينة، متذللاً بأنواع الافتقارات، متحببا بأنواع العبادات، وقد اصطف خلفه مؤتمين به، مؤمنين على دعائه الأنبياء والأولياء والأصفياء، والطلب الجنة والبقاء، والسعادة الأبدية والرضا، قبل أن يكون هذا كان.

لابد أن يتفطن الإنسان أن هذه الدنيا ليست بذاتها ولذاتها، بل هى منزل يملأ ويفرغ، وساكنوها مسافرون يدعوهم رب كريم إلى دار السلام، وأن هذه الزينة فيها ليست للذة والنزهة فقط بدليل أنها تلذك آناً. ثم تؤلمك بفراقها أزماناً، وتذيقك لتفتح شهيتك ولكنها لا تشبعك لقصر عمرها أو لقصر عمرك، فهى للعبرة والشكر، وهى للشوق إلى الأصول الدائمة، والغايات العلوية، وأن ما فيها من الزينة صور لما ادخره الرحمن فى الجنان لأهل الإيمان، وأن هذه الفانيات اجتمعت اجتماعاً قصيراً لتؤخذ صورها وتماثيلها ومعانيها ونتائجها نماذج فينسج منها مناظر دائمة لأهل الأبد، فيختار منها صانعها ما يشاء لأهل البقاء، وقد فعل.

* * *

انظر من كلمات القدرة إلى هذه الزهرة التى تنظر إليها فى وقت قصير. ثم تفنى، تراها كالكلمة التى تزول وتترك فى الآذان صدى لآلاف مثلها، وفى العقول كذلك من معانيها. إذ هى وقت تمام وظيفتها تبقى وتودع فى حافظتنا وفى حافظة كل من رآها الشهادة، وفى بذورها صورها ومعانيها، حتى كأن بذورها وعقولنا – لمجرد حفظ زينتها وصورتها – وكأنها منازل لبقائها، وقس على هذه الزهرة ما فوقها وفوق ما فوقها من ذوى الأرواح الباقية تجد أن الإنسان ليس سدى يسرح كيف يشاء، بل تؤخذ صور أعماله وتكتب وتحفظ ليحاسب، أن تخريب الخريف لجمال الربيع إنما هو ترخيص بتمام الوظيفة، واستعداد لوفود وفود جديدة، وتحضير لمجيء مصنوعات موظفات، وتنبيه من الغفلات والسكرات، أن لصانع ها العالم عالماً آخر يسوق اليه عباده ويشوقهم إليه، وأنه قد أعد مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* * *

انظر إلى حافظة البشر، وثمرة الشجر، ونواة الثمر، وبذر الزهر، لتفهم عظمة إحاطة اسم الله الحفيظ حتى فى الحائل الزائل، وقس على هذا ما يجرى فى العوالم الغيبية لتعلم أن لصاحب هذا العالم اهتماماً عظيماً بانضباط ما يجرى فى ملكه، وأن له نهاية الكمال فى حاكميته، وأن ربوبيته على خلقه تامة، فهذا كله يصرح أنه لابد من حساب، والا لماذا تحفظ الأعمال والأفعال والأقوال.

إن هذا كله يستلزم المحاسبة. خاصة لأعظم الأعمال، من أكرم المخلوقات وأشرفها الإنسان، لأن الإنسان كالشاهد على شئون الربوبية، وكالدلال على الوحدانية، وكالمشاهد لتسبيح الوجود.

﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ [القيامة: ٣٦].

كلا بل سيحاسب على السبد واللبد، وسيذهب إلى الحشر ليتقرر مصيره إلى الأبد، وما الحشر والقيامة بالنسبة إلى قدرة الله إلا كالربيع بعد الخريف.

إن كل ما يقع معجزات قدرته، ولكنها تشهد على قدرته مستقبلاً ومآلاً.

* * *

ليس إيجاد الحشر بانقلاباته وما فيه بأعسر عليه من إيجاد الربيع بتحولاته وجناته ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ [النساء: ٨٧]. كيف لا يصدق حديث من هذه الموجودات كلماته الصادقة، وهذه الكائنات آياته الناطقة.

* * *

لقد أخبر كل من ذهب من الظاهر إلى الحقيقة، من ذوى الأرواح النيرة، والقلوب المنورة والعقول النورانية، ودخل فى حضرة قربه سبحانه، أنه أعد للمطيعين والعاصين دار مكافأة وجزاء.

تأمل فى كيفية إحياء الأرض فى الحشر الربيعى كى ترى قريبا من ثلاث مائة ألف حشر ونشر، بكمال الانتظام فى مقدار ستة أيام، وبكمال الامتياز والتشخيص مع غاية اختلاط تلك الأموات غير المحصورة، مشتبكة منتشرة متداخلة فى صحيفة الأرض، فمن يفعل هذا كيف يؤوده شيء، وكيف لا يخلق السموات والأرض فى ستة أيام، وكيف لا يكون حشر الإنسان كلمح البصر بالنسبة اليه. من يكتب ثلاثة مائة ألف كتاب قد امحت حروفها فى صحيفة واحدة معاً، بلا خلط ولا غلط ولا مرج ولا مزج، كيف يعجز عن استنساخ كتاب هو ألفه أولاً ثم محاه.

﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٥٠].

* * *

يا من رافقني بفهمه من أول المسألة إلى هنا، لا تظنن انحصار الدلائل فيما سبق، كلا.. بل يشير القرآن الحكيم إلى مالا يعد ولا يحصى من أمارات، إن خالقنا سينقلنا من هذا المشهد المؤقت إلى مقر سلطته الدائمة كما لوح القرآن إلى مالا يحد ولا يستقصى من علامات على أنه جل جلاله سيبدل هذا المملكة السيارة القابلة للفناء بتلك المملكة المستمرة السرمدية) أ. هـ.

(٢)

وبعـــد..

ما من شيء، في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام استبعده الناس واستغربوه وأنكروه واستهزأوا به كالدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، فترى أجيال الكافرين جيلاً بعد جيل مصرة على هذا الإنكار. وقد عرض علينا القرآن نماذج من هذا الإنكار:

﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩].

﴿ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد: ٥].

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل: ٣٨].

﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٤٩]

﴿ وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٦٦].

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ* هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٥ – ٣٨].

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ * قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٨١ – ٨٣].

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ [الفرقان: ١١].

﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ [النمل : ٦٦].

﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ [السجدة : ١٠].

﴿ وَقَالُوا إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴾ [الصافات : ١٥ – ١٧].

﴿ كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ ﴾ [المدثر : ٥٣].

لقد استبعدوا الموضوع لأن مقدماته القريبة والظاهرة لا تدل عليه كما يستبعد العامى رقما حسابيا ضخما بداياته صغيرة جداً.

قالوا: لما اخترع صاحب الشطرنج الشطرنج، عرض عليه أن يطلب مكافأة، فقال: مكافأتى أن تضع فى البيت الأول من بيوت الشطرنج حبة قمح، ثم تضع فى الثانية ضعفها، ثم فى الثالثة ضعف ما وضعت فى الثانية، وفى الرابعة ضعف ما وضعت فى الثالثة، وهكذا حتى تتم بيوت الشطرنج الأربعة والستون. وتصور ملكه، أن هذا طلب بسيط يكفى فيه رطل من القمح ولكن عندما حسبت تبين أن قمح العالم كله يومذاك لا يكفى ولا لسنوات لإتمام العملية.

وقالوا: لو أخذنا ورقة سيجارة وقسمناها ووضعنا الناتج فوق بعضه ثم قسمنا الناتج ووضعناه فوق بعضه ثم قسمنا الناتج ووضعناه فوق بعضه وكررنا العملية ٤٨ مرة فإن سمك الناتج يكون من الأرض إلى القمر، ولكنك لو سألت أميا عن الناتج لأجابك أن سمك الناتج خمسة سنتميترات أو عشرة أو خمسة عشر أو متراً أو مترين، أما أن تكون النتيجة كذلك فهو يراها قبل الدليل أشبه بالخرافات.

المسألة بالنسبة لليوم الآخر هكذا، عندما يدرسها الإنسان من مقدماتها القريبة يراها غير متوقعة، ولكن عندما ينظر إليها نظرة شاملة يراها كالنتيجة الرياضية لا تتخلف ولا يطرأ عليها الشك.

فلننظر إلى المسألة نظرة شاملة:

إن المسألة بكل بساطة هى ما يلى:

١ – ان الله عز وجل موجود وقد رأيناه دليل ذلك فى البحث الأول (الله).

٢ – والله عز وجل عليم، وقد رأينا دليل ذلك.

٣ – والله عز وجل قادر، وقد رأينا دليل ذلك.

٤ – والله عز وجل مريد، وقد رأينا دليل ذلك.

٥ – والله عز وجل عادل، وقد رأينا دليل ذلك.

٦ – والله عز وجل منتقم، وقد رأينا دليل ذلك.

٧ – والله عز وجل كريم ومنعم، وقد رأينا دليل ذلك.

فهذا الاله القادر الذى خلق السموات والأرض لا يعجزه أن يخلق الإنسان مرة ثانية، وهذا الاله العليم بكل شيء لا تعزب عنه ذرات الإنسان إذا أراد جمعها، وأن هذا الاله العادل أعلم بكيفية الجمع الذى لا يكون معه ظلم، ومقتضى عدله أن يحاسب الإنسان، لأنه سخر له كل شيء، ومقتضى عدله أن لا يكون من أحسن كمن أساء، ومقتضى عدله أن يقتص للمظلوم من الظالم.

وهذا الاله المنتقم مقتضى انتقامه أن ينتقم ممن حاربوه وآذوا رسله ولم يطيعوه، وهذا الاله الكريم المنعم مقتضى إنعامه أن يحسن لمن أحسن وأطاع ووالى أولياء الله فى الدنيا.

وأخيراً هذا الآله الفعال لما يريد، أراد أن تكون المسألة بالنسبة للإنسان من المخلوقات الظاهرة، والجان من المخلوقات الغيبية هكذا، ولا يسئل عما شاء وعما أراد، لأن عظمته وجلال شأنه أكبر من أن تحاسب، بل هى تحاسب من شاءت.

ثم أن رسل الله صلوات الله عليهم وسلامه كلهم أخبروا الإنسان أن أمامه بعثا ثانيا وحياة ثانية دائمة وجنة أو ناراً، هؤلاء الرسل الذين قامت الأدلة الكاملة على صدقهم قد أخبرونا عن الله فلم يبق أمام الإنسان إلا أن يكيف سلوكه تبعا لذلك.

وقد ناقش الله فى القرآن منكرى اليوم الآخر نقاشاً طويلاً، وأقام عليهم الحجة به، فلنعرض نماذج من نقاش القرآن لهؤلاء.

(٣)

(أ) قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ * وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [سبأ: ٣ – ٦].

ردت هذه الآيات على المنكرين بما يلى:

١ - بينت حكمة الساعة وأنها لإثابة المحسن، وتعذيب الذين حاربوا الله ورسوله وصدوا عن سبيله.

٢ - أشارت إلى أن الله الذى لا يعزب عن علمه شيء هو الذى أراد هذا.

٣ - القرآن حق، يعلم هذا كله من عنده علم، وكون القرآن حقاً وقد أخبر بها فذلك دليل على أنها آتية.

(ب) ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ * أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ** ﴾ [سبأ: ٧ - ٩].

١ - لفتتهم هذه الآيات إلى المخبر لهم عن الساعة وهو محمد عليه الصلاة والسلام وسألتهم: هل هو كذاب على الله أو مجنون؟ فإن لم يكن لا هذا ولا ذاك فالذين لا يؤمنون بالآخرة هم الضالون.

٢ - لفتتهم إلى قدرة الله فى السماء والأرض وما يمكن أن يحدث فيهما بقدرته، وبينت أن الذى يعرف قدرة الله فى خلقه يجد ذلك آية على أن الله قادر على إقامة الساعة.

(جـ) ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ** ﴾ [الحج: ٥ - ٧].

عالجت الآيات شك الشاكين بما يلى:

١ - لفتتهم إلى نشأتهم كيف أنهم كانوا تراباً ثم صار التراب غذاء ومن الغذاء تكون المنى ثم كان اللقاح ثم بدأ تطور الجنين حتى ولد طفلاً ثم كبر ثم عجز، فالله الذى نقل الإنسان من طور إلى طور حتى أوصله إلى ما وصل إليه، هل يعجزه أن يخلق الإنسان مرة ثانية دفعة واحدة.

٢ – لفتتهم الآية إلى النبات الذى يجف حتى يموت كيف يحييه الله عز وجل مرة ثانية، فالله الذى فعل هذا أيعجزه أن يخلق الإنسان مرة ثانية؟

إن الله الذى فعل هذا وهذا قادرعلى أن يبعث الناس جميعاً مرة أخرى فلا مجال للشك إذن بقيام الساعة.

(د) ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [يس: ٧٧ – ٨٣].

١ – لفتتت الآيات الإنسان إلى موقفه الشائن حيث يقف خصماً لله الذى خلقه من هذه النطفة الحقيرة.

٢ – ومن خصومة الإنسان لله استبعاده أن يخلقه الله مرة ثانية، مع أنه لو تذكر كيف خلقه الله لأول مرة لم يستبعد أن يخلقه مرة ثانية.

٣ – الله الذى خلق كل شىء للإنسان لا ينبغى للإنسان أن يقف منه هذا الموقف.

٤ – الله الذى خلق السموات والأرض، والذى يخلق بمجرد الإرادة والأمر، أليس قادرا على أن يخلق مثل الإنسان، والذى يقدر على هذا كيف يستبعد منه إعادة الإنسان؟

(هـ) ﴿ **وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [الرعد : ٥].

أشارت الآية إلى أن الذين ينكرون البعث إنما يكفرون فى الحقيقة بالله، إذ لو كانوا يعرفون الله حق المعرفة لما أنكروا الساعة والقيامة، وإنه لعجب أن ينكر الإنسان البعث وهو يعرف الله ويعرف قدرته.

(و) ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [غافر: ٥٧].

الذى يعرف شيئًا عن سعة الأجرام السماوية، وعن هذا الفضاء الكبير، يعرف

أن خلق الناس بالنسبة إلى ذلك أمر بسيط. فإنكار الإنسان لليوم الآخر شيء عجيب مع قيام الحجة، إن الله هو خالق السموات والأرض.

(ز) ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

إن الإنسان عندما يتصور أنه غير راجع إلى الله، وأنه غير محاسب، وأنه يعمل ما يريد فعله في هذه الحياة ثم يمضي إلى غير رجعة، إن هذا الإنسان عندما يتصور هذا التصور، إنما يحكم على الأشياء كلها وعلى ذاته خاصة بأنها مخلوقة للعبث واللهو. لا لحكمة، وهو بذلك يتهم الذات الالهية أو ينكرها، والحقيقة خلاف هذا وهذا، والله عز وجل منزه عن هذا وهذا، بل خلق الإنسان لحكمة، وسيحاسبه على أفعاله كلها.

(ح) ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ** ﴾ [القيامة: ٣٦ – ٤٠].

إن الإنسان الذى أعطى الوجود كله ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ [لقمان: ٢٠] لا يعامل كما يعامل التراب وأمثاله، فهو سيطالب بقدر ما أعطى ويحاسب، وهذا منطق الوجود كله، على قدر ما تعطى تطالب، فلن يترك الإنسان وقد أعطى ما أعطى مهملاً، بل سيحاسب على كل صغيرة وكبيرة من قبل ربه عز وجل، والله الذى خلقه من نطفة ثم طوره قادر على أن يعيده مرة ثانية ليحاسبه.

(ط) ﴿ **بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ** ﴾ [سورة ق: ٢ – ٤].

ردت الآية على عجبهم من إعادتهم بعد أن يكونوا تراباً بعلم الله الذى يعلم كل شيء، فيعلم ذراتهم إلى أى شيء تؤول، وما دامت المسألة كذلك فكيف يكون عجب، بل العجب من تصورهم أن الله ذا الجلال والكمال لا يقدر على إعادتهم.

(ى) ﴿ **وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي**

﴿ فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٤٩ – ٥١].

استبعدوا أن إذا صاروا تراباً أن يبعثوا، فقال لهم كونوا بعد موتكم أكثر من تراب: حجارة أو حديداً أو أى شيء تتصورونه كبيراً: هؤلاء أو غازات أو نباتاً أو فى أجسام أخرى أو.... فالذى خلقكم أول مرة وفيكم ذرات الحديد والذهب والفحم هو الذى سيعيدكم مرة أخرى.

(ك) ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٣٨ – ٤٠].

إن الله وعد – وإذا وعد لا يخلف الميعاد – أن يقيم الساعة، ويبعث الأموات، والحكمة فى ذلك كى يبين للناس الحق فيما اختلفوا فيه، وليبين للناس أن الرسل كانوا صادقين، وأن الذين كذبوهم هم الكاذبون، وليس ذلك يصعب على الله الذى يقول للشيء كن فيكون. هذه هى الحقيقة ولو جهلها أكثر الناس.

* * *

هذه نماذج من نقاش القرآن للكافرين فى قضية البعث، والقرآن مليء بمثل هذا، فقضية اليوم الآخر تعدل قضية الإيمان بالله فى ميزان القرآن، لذلك كثيراً ما تقترنان، وما وصف الرسل بأنهم مبشرون ومنذرون إلا من أجلها، هذه مهمتهم الأساسية أن يبشروا المؤمنون بجنة الله، وينذروا المكذبين بنار الله. المؤمنون عرفوا الرسل وصدقوهم وقالوا:

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

والكافرون حاربوا الرسل وآذوهم وعذبوهم وصدوا عن صراط الله عز وجل وقالوا:

﴿ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١].

فاستحق كل من الطرفين جزاء عمله:

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ

عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [الانفطار : ١٣ - ١٩].

هذا هو المؤيد الأعظم لرسل الله، وهذا هو المؤيد الأعظم للإسلام، إن مشيت فى طريق الإسلام فلك الجنة، وإن مشيت فى طريق ضلال فلك النار، وقبل الجنة والنار نعيم وأهوال أخبر عن ذلك كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأخبر عن ذلك كل رسول لله، وفصل. هذا كله محمد رسول الله وخاتم النبيين.

(٤)

فالله عز وجل جعل الحياة بالنسبة للانس والجن حياتين: الحياة الدنيا، والحياة الآخرة، وجعل الحياة الآخرة هى المقر، وجعل الحياة الدنيا هى الممر، قال ابن مسعود: (مالى وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها).

وفى الأثر: (كن فى الدنيا كغريب، أو عابر سبيل).

فالدنيا ليست دار قرار للإنسان، وكل ما فيها تافه وحقير إذا قيس بالآخرة، كما أنها فانية والآخرة باقية، ومجنون من يفضل فانيا تافها على باقٍ عظيم، ولكن الإنسان فى هذا الموضوع كالطفل الذى يفضل الغريب المألوف على أبيه وأمه القريبين الغائبين، يفضل الأدنى على الأعلى، والعاجلة على الآجلة، لأن العاجلة الأدنى هو منها على تماس، أما الآجلة الأعلى فهو منها على موعد، ولو عقل لعرف أن موعدا من الله وعلى لسان رسوله أوثق إلى مالا يتناهى مما هو فى اليد، لأن ما فى اليد من الله ونافد، وما عند الله حاصل وباق.

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦].

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى : ١٦ - ١٩].

﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ *وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٠ - ٢٥].

ولذلك أكثر الله عز وجل وأكثر رسوله من ضرب الأمثال على حقارة الدنيا وفنائها، وجلال الآخرة وبقائها، ليعقل من عقل، ويبقى سادرا فى جنونه من جن، وأى جنون أكبر من الغفلة عن نعيم الآخرة وشقائها.

قال عليه الصلاة والسلام: (ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار بالسبابة - فى اليم فلينظر بما يرجع) مسلم والترمذى.

ومر عليه الصلاة والسلام بالسوق داخلاً من بعض العوالى والناس كنفتيه[1]، فمر بجدى ميت أسك فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: (أيكم يحب أن هذا له بدرهم)؟ قالوا: ما نحب أنه لنا بلا شيء وما نصنع به؟ أنه لو كان حياً كان عيباً به أنه أسك. قال: (فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم) مسلم وأبو داوود.

وقال عليه الصلاة والسلام: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالم ومتعلم) الترمذى.

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [يونس: ٢٣، ٢٤].

وقال: ﴿ **وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ** ﴾ [الرعد: ٢٦] أى متعة لا تدوم.

وقال: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا** ﴾ [الكهف: ٤٥].

وقال: ﴿ **وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والحيوان مصدر حيى، أى لهى دار الحياة الحقيقية، لامتناع طريان الموت فيها.

وقال: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [الحديد: ٢٠].

ولكن هذه الحقيقة لا يستفيق عليها فى الدنيا الا المؤمنون، لذلك تصبح الدنيا بالنسبة لهم سجنا ينتظرون الخروج منه، أما الكافرون فيعتبرونها جنة يتمنون البقاء فيها:

---

(١) أى يسيرون عن يمينه وشماله.

يقول عليه السلام: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) مسلم والترمذى.

ويستفيق على هذه الحقيقة فى الآخرة الكافرون:

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا ﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٤].

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٢ - ١١٤].

ولهذا كله لا يعتبر إنسان فى ميزان الله عالما ولو عرف هذا الكون كله إلا إذا عرف الآخرة وآمن بها وعرف أنها خير من الدنيا:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠].

﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ * أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ * أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٦ - ٩]. ومن رأى الأهرام وآثار بعلبك وتدمر رأى آثار عمارة الماضين للأرض.

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠].

هؤلاء الذين لا يعرفون الآخرة، ولا يريدونها وقد قصروا همتهم على الدنيا، سينالهم من عذاب الآخرة النصيب الأولى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠].

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا

مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

والفارق بين مريد الدنيا، ومريد الآخرة كبير جداً، يظهر فى الاعتقاد، وفى يقظة القلب، وفى السلوك. فطالب الآخرة يفضلها على الدنيا اعتقاداً وشعوراً، ويقدم أعمالها على أعمال الدنيا، ويجعل أعمال الدنيا وسيلة تقربه من رضوان الله فى الدنيا والآخرة، فإذا تعارضت صلاته مع عمله قدم صلاته، وإذا عمل عملاً بنية وجه الله، فهو وأعماله على صراط الله الموصل إلى الجنة.

(رحم الله عبدالله بن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ).

(٥)

إذن هناك دنيا وأخرى، والحد الفاصل بينهما قيام الساعة، فبقيام الساعة تنتهى الدنيا وتبدأ الآخرة، هذه الساعة التى هى الحد الفاصل بين الدنيا والآخرة متى تكون؟ إن الله عز وجل قد عمى خبرها فلم يخبر به أحداً.

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** ﴾ [النازعات: ٤٢ – ٤٦].

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

فهى إذن لا تأتى إلا بغتة، غير أن لها علامات تدل على قربها، وعندما نقول قربها نعني قربها النسبي، أى بالنسبة لما هو عند الله، أو بالنسبة لعمر الكون. قال تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ [القمر: ١]. وقال: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ** ﴾ [محمد: ١٨].

ومن أشراطها بعثة الرسول ﷺ، روى البخارى عن رسول الله ﷺ: (بعثت أنا والساعة كهاتين) يعنى أصبعيه.

وعلامات الساعة كثيرة وكل علامة من علاماتها شرط لوجودها، فما لم تظهر العلامات كلها لا تقوم الساعة وقد أشار الرسول ﷺ إلى كثير من هذه العلامات وأشار القرآن إلى بعضها، وبعض ما أشار إليه الرسول ﷺ وقع كما رأينا فى بحث

النبوءات من الكتاب الثانى – الرسول – وبعضها لم يقع، والذى لم يقع حتى الآن كثير مما يدل على أن بيننا وبينها بعدا نسبيا أى بعد بالنسبة للزمن من حسابنا، أما بالنسبة لعمر الكون أو للذات الالهية فذلك قريب ﴿ **وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ [الحج: ٤٧]. وبعض الأشراط وهى التى تسمى العلامات الكبرى تكون قبل قيام الساعة بقليل وهى مقدمات ضخمة بين يدى ذلك الحدث الضخم.

ونحن سنستعرض بعضا من هذه الأشراط مبتدئين بالإشراط التى أشار إليها القرآن:

(أ، ب) روى مسلم وأبو داوود عن رسول الله ﷺ: (أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً).

قال تعالى: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وقد فسر الرسول ﷺ آخر هذه الآية فى الحديث الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة عن رسول ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان من المسلمين يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج – وهو القتل – وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذى عرض عليه لا أرب لى فيه، وحتى يتطاول الناس بالبنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿ **لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً** ﴾ فلتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها).

وفى بعض روايات هذا الحديث يذكر أنه لا تقوم الساعة (... وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً) وواضح أن هذا العرض الطويل لما يكون قبل الساعة قسم منه قد رأيناه ومضى، وقسم هو الآن فى بداياته، وقسم لم يأت دوره بعد.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ**

النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢] ولم يرد فى نص صريح وصف لهذه الدابة إلا ما ورد فى حديث تميم الدارى فى وصف دابة هى الجساسة - دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره - يقول العلماء : أنها هى نفس الدابة . وإنما الوارد عن رسول الله قضية خروجها :

روى أحمد باسناد رجاله رجال الصحيح ما عدا واحداً هو ثقة، عن رسول الله ﷺ .

(تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرون فيكم حتى يشترى الرجل البعير فيقول : ممن اشتريته؟ فيقول : اشتريته من أحد المخطمين) .

وللطبرانى فى الأوسط باسناد رجاله ثقات عن رسول الله ﷺ :

(تخرج الدابة من أعظم المساجد فبينما هم كذلك إذ تصدعت) وأعظم المساجد المسجد الحرام .

(ج، د، هـ) نزول المسيح، وخروج الدجال، وفتح يأجوج ومأجوج .

قال تعالى عن المسيح : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ [النساء : ١٥٩] .

وقال : ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا** ﴾ [الزخرف : ٦١] .

وقال عن يأجوج ومأجوج : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ** ﴾ [الأنبياء : ٩٦، ٩٧] .

وأما الدجال فقد ورد فيه أكثر من سبعين حديثاً، فحديثه متواتر من أنكره لا شك كفر، ومرتبط موضوعه بنزول المسيح عليه السلام، إذ أن المسيح هو الذى يقتله .

والمسيح والدجال ويأجوج ومأجوج فى زمن واحد تقريبا وليس بين الساعة وهذه الأحداث إلا سنوات معدودات .

ولعل أغمض موضوع هنا هو موضوع يأجوج ومأجوج لكثرة الأحاديث الموضوعة، والأوهام الكثيرة التى أحاطت بهم، والحق فى ذلك أنهما أمتان من بنى آدم كثير عددهما، موجودتان على الأرض، لا نستطيع تعيينهما، ولا تعيين محلهما، اكتساحهم للمنطقة العربية، ودخولهم إلى فلسطين من علامات الساعة . أما ما يذكر من أنهم يحاولون يوميا فتح سدهم ولا يقدرون . فالحديث غريب وفى رفع متنه نكارة كما ذكر المحدثون .

أما كون الآية ذكرت فتح سدهم وقرب الساعة فقد رأينا أن الساعة اقتربت منذ

زمن رسول الله ﷺ وذهب بعضهم إلى أن سدهم المقصود به سد الصين العظيم[1]. وبعضهم ذهب إلى غير ذلك وبعضهم ذهب إلى أنهما التتار والمغول، وبعضهم إلى أنه الجنس الآرى كله بما فى ذلك الشعوب الأوروبية الحالية، وليس فى ذلك كله ما يصلح للقطع غير أن هناك حديثين صحيحين يعطياننا بعض الفهم للأمر: روى الشيخان عن زينب بنت جحش أن النبى ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: (لا إله إلا الله.. ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) - وحلق باصبعيه الابهام والتى تليها - فقلت: يا رسول الله.. أنهلك وفينا الصاحون؟ قال: (نعم إذا كثر الخبث).

وأول شر أصيب به العرب كان على يد التتار والمغول، فكان ما أصيب به العرب يومذاك هو بداية الدفعة الأولى لخروج يأجوج ومأجوج هذا إذا صح فهمنا للحديث.

وفى الحديث الحسن الصحيح الآخر:

(أن النبى ﷺ لما نزلت: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾ [الحج: ١]. الآية قال: أتدرون أى يوم ذلك؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: ذلك يوم ينادى الله فيه آدم فيناديه ربه فيقول: يا آدم.. ابعث بعث النار فيقول: أى رب.. وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة. فيئس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة، فلما رأى الذى بأصحابه قال: اعلموا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا فى شىء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج ومن مات من بنى آدم وبنى ابليس. فسرى عن القوم بعض الذى يجدون قال: اعلموا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس إلا كشامة فى جنب البعير - أو كالرقمة فى ذراع الدابة.

من هذا الحديث نفهم أن يأجوج ومأجوج يشكلان نسبة كبيرة من سكان الأرض، مما دعا البعض إلى أن يتصور أنهم من العرق الأصفر من صينيين وغيرهم، أو العرق الأصفر والعرق الآرى كله. والأمر بعد ذلك وقبله إلى الله هو أعلم بهم، كل ما فى الأمر أن من علامات الساعة أن يأجوج ومأجوج ستكتسحان أرضنا حتى فلسطين فى زمن المسيح ثم يقضى الله عليهم.

أما الدجال فهو أعظم فتنة تظهر على الأرض منذ خلق الله الخليقة حتى قيام الساعة، إذ أنه رجل يدعى الألوهية، ويظهر الله على يده خوارق عادات تكون بمثابة

---

(١) يروى بعض من زار الصين من معاصرينا أن الناس هناك حدثوهم أنه يوجد عندهم قبيلتان تسميان: يأجوج ومأجوج وهما موجودتان الآن.

أشعار للجاهلية بأن لهذا قدرة مطلقة، فما لم يعتصم الإنسان بالوحى الصادق فى شأنه، والعقل البصير الذى يعرف به جلال الله، وأنه لا يمكن أن يكون الله هو هذا الإنسان الأعور الناقص فإن الإنسان يضل.

وهذه بعض نصوص وردت فى أمر هذه العلامات الثلاث للساعة:

روى مسلم عن رسول الله (ما من خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال).

وفى رواية (أمر أكبر من الدجال).

وروى الشيخان وأبو داوود والترمذى عن رسول الله ﷺ: (ان الله ليس بأعور ألا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافئة) وفى رواية (تعلمون أنه ليس يرى أحد منكم ربه حتى يموت وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله).

وللترمذى وابن ماجه والحاكم عن أبى بكر عن رسول الله ﷺ:

(الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة) حسن غريب.

ولمسلم عن رسول الله ﷺ (يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة).

ولمسلم والترمذى: (ليفر الناس من الدجال فى الجبال. قلت: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل). وللشيخين عن أبى سعيد (حدثنا النبى ﷺ عن الدجال فكان فيما حدثنا به أن قال: يأتى الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس – أو من خير الناس – فيقول: أشهد أنك الدجال الذى حدثنا عنه رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال: أرأيتم أن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر؟ فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشد بصيرة منى اليوم. فيقول الدجال: اقتله فلا يسلط عليه). وفى رواية بنحوه وفيه قول الرجل: (هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ فيأمر به فيشج فيقول خذوه وأشبحوه فيوسع ظهره وبطنه ضرباً فيقول: أما تؤمن بى؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ثم يمشى الدجال بين قطعتيه ثم يقول له: قم. فيستوى قائماً ثم يقول له: أتؤمن بى؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. ثم يقول: يا أيها الناس: إنه لا يفعل بعد بأحد من الناس. فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته

إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار وإنما ألقى فى الجنة فقال ﷺ : هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين) وللشيخين وأبى داوود عن حذيفة عن رسول الله ﷺ :

(أنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج فأما أدرك أحد فليأت النهر الذى يراه نارا وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه فانه ماء بارد وأن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغيركاتب) .

وللشيخين وأبى داوود والترمذى عن رسول الله ﷺ :

(ما من نبى إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا انه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر) .

ولمسلم وأبى داوود والترمذى عن النواس بن سمعان :

(ذكر النبى ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل . فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفنى عليكم أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم . إنه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فإنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالاً . يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله : فما لبثه فى الأرض؟ قال أربعون يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله : فذاك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال لا . اقدروا له قدره . قلنا يا رسول الله : وما أسراعه فى الأرض؟ قال : كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ورأ وأشبعه ضروعاً وأمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان اللؤلؤ . فلا يحل لكافر يجد ريح

نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه. فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى:

(إنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور)، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله جل وعلا. فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة.

ثم يهبط عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله تعالى. فيرسل طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة. ثم يقال للأرض أنبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله فى الرسل حتى أن اللقحة من الأبل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس. فبينما هو كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة).

وفى رواية بعد قوله: «لقد كان بهذه مرة ماء»: (ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من فى الأرض فلنقتل من فى السماء فيرمون نشابهم إلى السماء فيرد الله عليه نشابهم مخضوبة دماء).

* * *

هذه خمسة علامات من أكبر علامات الساعة وأشراطها، وهناك مئات العلامات الأخرى وردت فى السنة، رأينا نماذج مما وقع منها، أو يقع الآن فى فصل النبوءات من كتاب **(الرسول)** وبعضها لم يقع، وبعض الناس تغلب عليه أغلاط فى فهم بعض هذه العلامات أو فى تقدير وقتها.

إذ أن منها ما يكون قرب الساعة بقليل جداً قبل المسيح بسنوات أو معه، ومنها ما يكون قبل ذلك بكثير جداً فيغلطون بالجمع بينهما، ومنها ما لا تدل عليه المقدمات الحاضرة فيغلطون فى تأويلها، ومنها ما جعلهم عصرنا الحاضر ومخترعاته يفهمونها فهما عادياً وهى خوارق، ومنها ما هو دليل على الخيرية يظنونه مذموماً.

فمثلاً يظن الناس أن الدين إلى انحسار حتى خروج المهدى، مع أن المهدى قبل عيسى بقليل، وقبل ذلك يعم الإسلام العالم، وتفتح روما. والقسطنطينية اليوم مسلمة وكانت كافرة ففتحت، وقد أخبر الرسول ﷺ بالفتح الأول ولكن يبدو أن القسطنطينية سترجع كافرة مرة ثانية، وتفتح من جديد، وفتحها الثانى يكون قبيل المسيح بقليل، والناس لا يفرقون بين فتحها الأول والثانى. والظاهر كما أن مدنيات قديمة كثيرة قد اندرست على مر العصور، فان مدنيتنا الحاضرة لن تستمر إذ أن النصوص الكثيرة تفيد أن الناس قبل قيام الساعة لن يكونوا على شيء من العلم، وهذا يؤكد أن بيننا وبين القيامة شيئًا من الفترة الزمنية الله أعلم به ولكن أشراطاً كثيرة وردت فى السنة الثابتة لم تقع ويبدو أن وقوعها يحتاج إلى زمان طويل والمسألة بعد ذلك كله هكذا:

ما ورد من علامات الساعة إن كان وقع فهو معجزة وقد رأينا نماذجه فى بحث النبوءات.

وما ورد من علاماتها مما لم يقع فالإيمان به واجب والله أعلم بزمان وظروف وكيفية وقوعه.

ولن تقوم الساعة حتى تستنفد علاماتها وأشراطها التى وردت فى الكتاب والسنة وشيء ننبه إليه هو ألا يدفعنا واقع عصرنا إلى تأويل شيء من علامات الساعة التى لم تقع لأن واقع عصرنا وما فيه قد ينتهى بحرب ذرية تعود الإنسانية فيها إلى بدايتها الأولى ولا يبقى فيها إلا الجاهلون.

(٦)

رأينا أن هناك دنيا وأخرى وأن الحد الفاصل بينهما هو قيام الساعة ورأينا شيئًا من أشراط الساعة والآن نحب أن نذكر هنا ما هو وضع الإنسان قبل الساعة وبعد الموت؟

نريد أولاً وقبل الجواب عن السؤال الآنف أن نشير إلى نواح:

(أ) العوالم التى يمر بها الإنسان هى:

١ – عالم البطن.

٢ – عالم الحياة الدنيا.

٣ – عالم البرزخ وهو عالم ما بعد الموت.

٤ – عالم اليوم الآخر وهو عالم ما بعد الساعة.

وكل عالم لاحق أوسع من العالم السابق ويختلف عنه نوع اختلاف، وتختلف كذلك القوانين التى تنطبق عليه. فالإنسان فى بطن أمه لا يتنفس ولا يأكل من فيه

ويكون فى الغالب رأسه إلى الأسفل على عكس ما يكون فى الحياة الدينا، والحياة الدنيا أوسع من البطن للإنسان، وعالم البرزخ أوسع من عالم الدنيا لأنه جزء من الآخرة، وعالم الآخرة أوسع العوالم على اعتبار ان الإنسان فيه يكشف له عالم الغيب ويعيش فيه.

وعالم الحياة الدنيا يرى فيه الإنسان صورة مصغرة عن عالم البرزخ فى النوم، وفى عالم البرزخ يستشرف الإنسان على الآخرة، فكل عالم يعيش فيه الإنسان يكون مقدمة لغيره، ويرى الإنسان فيه صورة مصغرة عنه.

وبحثنا هنا له علاقة بعالم البرزخ، وهو عالم ما بعد الحياة الدنيا وما قبل الآخرة: إننا نأخذ صورة مصغرة عن هذا العالم فى الحياة الدنيا أثناء نومنا. ففى النوم نرى أنفسنا نتعب أو ننعم أو نجوع أو نعرى أو نضرب أو نضرب[1] وقد يظهر آثار ذلك على الجسم كما تواترت بذلك حوادث. هذا الذى نشاهده فى النوم شبيه بما نراه أمامنا بعد الموت ولكن بصورة أخرى أكثر وضوحًا، وفى حالة يكون ارتباط الروح بالجسد فيها مختلفًا وأكثر ضعفًا، ولكن ليس مثل عالم الرؤيا يوضح لنا عالم البرزخ، ولذلك وجد أكثر من نص عبر عن النوم بلفظ الموت، أو شبه به من أجل ذلك قوله عليه السلام (النوم أخو الموت).

(ب) مر معنا فى بحث (الرسول) ﷺ معان كلها تشير إلى عالم الروح كظاهرة الأحلام والتنويم المغناطيسى والتلباثى وما إلى ذلك، وأكدنا هناك إلى أن المصدر الوحيد الذى يجوز أن نتلقى منه ما له علاقة بعالم الغيب خاصة هو رسول الله ﷺ إذ هو المصدر الوحيد الثقة المعصوم عن الخطأ فى هذا الموضوع وغيره ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ**﴾ [النجم: ١٧ - ١٨] ﴿**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ**﴾ [النجم: ١٢].

﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[2] [التكوير: ٢٤].

والذى نريد أن نذكره هنا هو أنه لما كانت عوالم الغيب جزءاً من العقيدة فلابد أثناء الحديث عنها من الاحتياط الكثير، فلا نورد نصًا إلا إذا صحت نسبته لرسول الله ﷺ صحة كاملة.

(جـ) كنا ذكرنا سابقًا أنه لا مانع من أن يجتمع فى القضية الواحدة سببان: أحدهما حسى، والآخر غيبى، وإثبات أحدهما لا يعنى نفى الآخر، والجميع بقدرة الله

---

(١) نضرب أو نضرب: الأولى بفتح النون وكسر الراء، والثانية بضم النون وفتح الراء.

(٢) أى بمتهم.

عز وجل، وإثبات هذا كذلك لا يعنى نفس السببين، وأكثر ما يتجلى هذا فى الموت. فقد يكون للموت سبب حسى هو المرض، وله حتما سبب غيبى هو سحب الروح من الإنسان بواسطة الملك، وهذا وهذا بقدرة الله.

﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: ١١] ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]

(د) المسألة بالنسبة لعالم الغيب تختلف منها عن عالم الشهادة. فالأشياء التى تتصور غريبة بالنسبة لنا فى عالم الشهادة نتيجة للقوانين التى تحكمنا تصبح عادية فى عالم الغيب، فإذا تصورنا طبيباً لا يستوعب الا مريضا، فلا يخطرن بالبال أن ملكاً لا يستوعب إلا إنسانا واحداً، هذا جهل بعالم الغيب لا يقول به إلا إنسان ما عرف عالم الغيب.

إن قدرة الله مطلقة، وإذا سلط مخلوقاً على شيء استوعبه، وعالم الغيب عالم عجيب لا نعرف عنه إلا ما أخبرنا بواسطة الوحى الصادق، وليس لنا معه إلا الإيمان والتصديق، دون القياس والتجريب، لأن المسألة خارجة عن قوانين عالمنا الحسى.

* * *

بعد هذه المقدمة ننقل بعض النصوص الواردة عما له علاقة بالإنسان من الموت إلى الساعة:

(أ) روى مسلم وأصحاب السنن عن أم سلمة:

(دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر) . .

(ب) روى النسائى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ:

(إذا احتضر المؤمن أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون أخرجى راضية مرضيا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فيخرج كأطيب ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به أبواب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه فيقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعل فلان؟ فيقولون دعوه فأنه كان فى غم الدنيا فيقول قد مات أما أتاكم؟ قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية. وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجى ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا به أرواح الكفار) .

(جـ) (روت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . قلت : يا نبى الله . . كراهية الموت؟ قال : ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه) للشيخين والترمذى والنسائى .

(وفى رواية : بعد « كره الله لقاءه » : والموت قبل لقاء الله) .

(وفى أخرى : قالت إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) .

(د) (روى أبو سعيد عن رسول الله ﷺ : إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت : قدمونى ، وان كانت غير ذلك قالت : يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شىء إلا الثقلين — أو قال الإنسان — ولو سمع الإنسان لصعق) للبخارى ومسلم .

(هـ) (وروى أنس عن رسول الله ﷺ : ان العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ليسمع خفق — قرع — نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ، وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدرى . . كنت أقول ما يقول الناس . فيقال له : لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين) . للشيخين وأبى داوود والنسائى .

(و) (وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ : إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول : هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وإن كان منافقا قال : سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدرى . فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك) .

وزاد فى الأوسط : (إن المؤمن تكون الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن شماله وفعل الخير والمعروف عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ليس من قبلى مدخل وكذا من كل جهة يقول الذى فيه ليس من قبلى مدخل) .

(ز) روى هانىء مولى عثمان قال : كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته قيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتذكر القبر فتبكى فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (القبر أول منزل من منازل الآخرة فان نجى منه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد منه قال وسمعته ﷺ يقول : ما رأيت منظراً قط الا القبر أفظع منه) .

وزاد رزين : قال هانىء وسمعت عثمان ينشد على قبر :

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة والا فانى لا أخالك ناجيا

(ح) روى ابن عباس : (مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعبان فى كبير ثم قال : بلى أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين فغرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) . للستة إلا مالكا .

(ط) وعن عائشة عن رسول الله ﷺ : (إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ) . لأحمد .

(ى) عن ابن عباس : (أن النبى ﷺ قال يوم دفن سعد بن معاذ وهو قاعد على قبره : لو نجا أحد من فتنة القبر - أو مسألة القبر - لنجا سعد بن معاذ ولقد ضم ضمة ثم أرخى عنه) للطبرانى فى الكبير والأوسط .

(ك) قال الله تعالى : ﴿ **النَّار يعرضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب** ﴾ [غافر : ٤٦] .

(ل) وقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتنا واسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

(م) عن سلمان عن رسول الله ﷺ : (رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطاً وقى من فتنة القبر ونمى له عمله إلى يوم القيامة) . لمسلم والنسائي والترمذى بلفظه .

(ن) قال مسروق : سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] فقال : إنا سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : (أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً؟ قالوا : أى شيء نشتهى ونحن نسرح فى الجنة حيث شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما

رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسئلوا قالوا: يا رب.. نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا). لمسلم والترمذى وزاد: (وتقرىء نبينا السلام وتخبره أن قد رضينا ورضى عنا).

(س) عن أنس عن رسول الله ﷺ: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة). للشيخين والترمذى والنسائى.

(ع) روى عوف بن مالك: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظنا من دعائه: (اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار). وقال عوف: حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت. للترمذى والنسائى ومسلم بلفظه.

(ف) روى أنس عن رسول الله ﷺ: (اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) للستة إلا مالكا.

(ص) روت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ: (اللهم إنى عوذ بك من الكسل والهرم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة القبر وأعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال. اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد ونق قلبى كما نقيت الثوب الأبيض وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب) للستة الا مالكاً.

والمسألة بعد هذا كله مسألة إيمان وعمل، وليست مسألة تحتاج الى فلسفة أو أسئلة. من آمن بالله ورسوله — ولماذا لا يؤمن - عرف أن الله لا يعجزه شيء، وتلقى الأمر كما هو ولم يحتج إلى سؤال كثير فى شئون هى لغير عالمنا، وما نرى المسلمين بحثوا فى هذه الشئون وتوسعوا فيها وأكثروا من تفريعات مسائلها ومناقشة أمورها إلا يوم ضعف فى نفوسهم اليقين، وقوى الشك، وعمت الشبه، وليس علاج ذلك فى هذا، وإنما علاجه بمعرفة الله ومعرفة رسوله ﷺ فمن عرف لزم الباب. ولم يحتج إلى جواب على إشكال لأنه لا إشكال وقتذاك إلا فى كلمة لم يعرف معناها أو نص استعصى على فهمه إدراك مراد الشارع فيه.

إن مثلنا ومثل الصحابة فى هذه الأمور كمثل أمتين هددتا بخطر، فأمة عرفت الخطر وسعت لتلافيه، وأمة شكت وفتشت وتساءلت وناقش أفرادها بعضهم بعضاً حتى داهمهم الأمر وهم على غير استعداد فدمروا.

فيا أيها الناس.. ما كان من أمر الغيب وقد أخبرنا عنه خبراً صحيحاً عن رسول الله ﷺ فلنفهمه ونؤمن به ولنسلم الأمر فيه، ذلك مقتضى الإيمان وذلك الطريق الأقوم.

* * *

على أن الباحث العالم المنصف يرى فى كل شيء ما يزيد اليقين:

لئن كانت بعض قضايا البرزخ يسمعها الحيوان ولا يسمعها الإنسان فقد ثبت علميا أن الإنسان لا يسمع الصوت إلا إذا كان ضمن ذبذبة معينة، فإذا زاد على ذلك أو نقص لم يعد يسمع، بينما آذان الحيوانات لا تنطبق عليها نفس القاعدة كما تنطبق على الإنسان، ومن شاهد الخيل عند قربها من قبر يلاحظ كيفية إصغائها.

ومن تتبع أحوال الموتى عند الموت وراقب وجوههم وأوضاعهم وأحوالهم رأى الفارق الكبير بين أوضاع المسلمين الصالحين وأوضاع الآخرين، يظهر هذا على وجوههم قبل الموت وبعده.

ومن درس أحوال العباد والزهاد والصالحين والذاكرين من المسلمين عرف أن أحوال الكثير منهم كيف أنهم يشاهدون بعض الأمور البرزخية، وقد ورد فى حديث الرسول ﷺ: (لولا تمرغ قلوبكم وتزيدكم فى الحديث لسمعتم ما أسمع) أى من عذاب القبر لأن الأثر ورد فيه.

ومن تتبع قصص من لم تأكل الأرض جثته من المسلمين ولو بعد عشرات من السنين أو مئات من يوم دفنه لرأى العجب قديما وحديثا، ولعل من أعجب ذلك وأبدهه وما يستطيع كل إنسان أن يتحقق منه ميت فى حى الأكراد فى دمشق ترى رجله خارجة من القبر لم تتغير ولم تتبدل ويستطيع أى إنسان أن يراها مع أنه مضى على دفنه مئات السنين، وما من بلد إسلامى إلا ويروى لك أهله حوادث من هذا النوع شاهدوها أو سمعوا من شاهدها. وفى حوادث السيرة من ذلك الكثير، وكم قبر حفر ففاح من أرضه عبير عجيب وهذه قضايا لا نقولها رجما بالغيب ولكن نستطيع أن نأتى عليها بأوثق الشهود، ومن تتبع حوادث توجيهات الموتى الصالحين للأحياء أو إنذارهم فى الرؤى والمنامات ووقوع كثير من النذر كما أنذروا يرى من ذلك الكثير العجيب.

نواح كثيرة تزيد الإيمان ولكن من لم يكتف بقول رسول الله ﷺ فى أى شيء فهو بحاجة إلى تجديد إيمانه برسول الله وبالله وليكثر من قراءة القرآن فإنه لا شك مريض والقرآن شفاء لما فى الصدور.

(٧)

بعد هذا نصل إلى الحديث عن اليوم الآخر. والحديث عن ذلك ينقسم إلى